

المباحث القرآنية عند السيد محمد حسين الجلاي

أ.م. د. بركاوي جليب دارم القرشي
أ.م. د. جاسم فريخ دايع الترابي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه المعجز بالحق ليتدبر آياته وليتدبر أولو الألباب، وأودع في بواهر بيناته ومناجم كنوز كلماته من أسرار حكمته ودلائل قدرته ما جعله المهيم على كل كتاب، وأزكى صلواته وأسنى تحياته على سيد رسله وأنبيائه الصادع بالحكمة وفصل الخطاب، وعلى أهل بيته المعصومين هداة الخلق إلى جادة الصواب وصحبه الغر الميامين.
أما بعد:

فإن السيد محمد حسين الجلاي قامة معرفية وعلم من أعلام كربلاء المبرزين، نشأ وترعرع في ربوعها، وفتح من ينابيع المعرفة فيها، اشتغل بالتدريس والبحث في مدرسة البقعة في كربلاء، وله تصنيفات حسان، منها الأصول الأربعمئة، ومسند الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام)، وحياة نصير الدين الطوسي، ومسند نهج البلاغة، ودراسة حول نهج البلاغة، ودراسة حول القرآن، وفهرس التراث (١)، وهو فاضل نبيل، وعالمة أصيل، وكاتب بارع، أوتي من براعة البيان وحسن التهذيب إلى دقائق المعارف بأسلوب رائق، واستدلال مُحكم، ومنهج رصين، وسلك في مؤلفاته مسلكاً علمياً واضح الصوى، أبلج المعالم، مأمون العثار.

وكان القرآن الكريم أحد تلك المعارف التي أولاها العلامة الجلاي بمزيد من الاهتمام، ويتجلى ذلك بتأليفه كتاب (دراسة حول القرآن الكريم) ذلك الكتاب المنمق العبارة، الصحيح الديباجة، السهل الأسلوب، الواضح الطريقة، العذب المشرب، وهو بعد كتاب نفيس، جزيل المباحث، غزير المادّة جم الفوائد، قد احتوى على موضوعات علوم القرآن الرئيسية بنحو تحقيقي مميز، استجلى فيه روائع النكات العلمية، وروائق الوجوه الدقيقة، في معرض مونق الجنبات، متألق القسمات، آخذ من جمال التنسيق وحسن الترتيب يتخلله نقدٌ علميٌّ مكين.

هدف الدراسة

وتعددت الدراسات التي عُييت بعلوم القرآن، واتخذت مناهج مختلفة في التأليف؛ تبعاً للمشارب المعرفية والعقدية، والاختلاف وقع في فنية العرض، وموضوعات علوم القرآن، فمنهم من أدخل موضوعات ليست من علوم القرآن، وأخرج آخرون موضوعات هي من صلبه، فأثرت هذه الدراسات

المكتبة الإسلامية ، وكان للسيد محمد الحسيني الجلاي وقفات مهمة في دراسته عن القرآن ، تفصّل عن تحقيق علمي رائق في كثير من مسائل علوم القرآن ، وإحاطة في المعرفة القرآنية ، يساعده في ذلك أسلوبه الجزل ، وعقله الحصيف ، يحاول هذا البحث الوقوف على مكان من هذا التحقيق القرآني ، ووضع اليد على آراء السيد محمد حسين الجلاي في مسائل علوم القرآن .

المطلب الأول: في مصطلح علوم القرآن

وضع السيد محمد حسين الجلاي ضابطاً لطيفاً في تمييز موضوعات علوم القرآن عن غيرها من الدراسات القرآنية، معتمداً المرتكز المنطقي الذي يستهدف وضع تعريفاً جامعاً مانعاً للتعريف، فقد عرّف السيد الجلاي علوم القرآن فقال: (الأفضل أن يقال أنه العلم الباحث أحوال النص القرآني كتابةً وقراءةً ومعنى) (٢) ، وأخرج بتعريفه هذا المواضيع القرآنية من المعارف التوحيدية مثلاً فإنّها ليست من أحوال النص بل من معاني مواضيع القرآن . ويشتمل هذا المصطلح بحوث رسم القرآن والقراءات والناسخ والمنسوخ، وكذلك البحث في الفرق في التأويل والتفسير وأقسامهما، حيث إنّها من أحوال النص القرآني، ويخرج علم التفسير من هذه الدائرة حيث هو من معنى النص وليس من أحوال النص (٣).

ولا شك أنّ الخلط سيقع في بين موضوعات أحوال النص القرآني وموضوعات معنى النص، والمتأمل في سبر هذا المسألة يجد أنّ جذور إشكالية التعريف وتحديد الموضوعات في علوم القرآن تعود إلى فقدان المعيار الصحيح في تحديد ما يمكن أن يدرج تحت مصطلح علوم القرآن، ومن ثم إبعاد الموضوعات القرآنية التي لا تنضوي تحت هذا المصطلح.

وأشار السيد محمد حسين الجلاي إلى أنّ أول من بحث في إعراب القرآن هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مستنداً في ذلك لقول أبي عمرو الداني: (إنّ أبا الأسود أول من أعجم القرآن بإرشاد من الإمام علي (عليه السلام)) (٤)، ويبدو أنّ الإعجام - هنا - بمعنى تمييز الحروف المتمثلة بالشكل (٥)، ولا يساعد هذا النص على مفهوم إعراب القرآن إلّا إذا أُريد بإعراب القرآن المعنى اللغوي وهو الإفصاح .

وذكر العلامة الجلاي أنّ أول من ألف في علوم القرآن هو ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) بعنوان (فنون الألفان في علوم القرآن) (٦)، والصواب أنّ أول من ألف في هذا المضمار أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) في كتابه الموسوم (فضائل القرآن ومعالمه وآدابه) ، وآية ذلك تعدّد علوم القرآن المذكورة فيه ، إذ نافقت على عشرين نوعاً ، مما يثبت تصنيفه ضمن كتب علوم القرآن الجامعة ، لا

المفردة . إضافة إلى أن كتابي البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٣هـ) وكتاب الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (ت ٩١١هـ) مشحونة بأقوال أبي عبيد القاسم بن سلام التي تثبت أصالته في الكتابة في موضوعات علوم القرآن.

ويمكن القول بأن منشأ الوهم عند السيد الجليلي يرجع إلى أمرين:
الأول: إن الكتاب طبع بعد وفاة السيد الجليلي، فقد طبع في دار ابن كثير، دمشق سنة ١٩٩٥م والثاني: أراد السيد الجليلي ورود مصطلح علوم القرآن في الكتاب وهو غير متحقق في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام.

المطلب الثاني : التأصيل اللغوي لمفردة القرآن.

أشكل السيد محمد حسين الجليلي على ما ذهب إليه الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) في أصل اشتقاق كلمة الله (عز وجل)، ووصف رأيه ب(الغريبة) حين ذهب إلى أن القرآن ليس مهموزاً ولم يؤخذ من قرأت ، والصحيح عنده أنها كلمة مشتقة من القراءة بمعنى التلاوة ، ويؤيد ذلك استعمال الكلمة في القرآن بمعنى القراءة (٧)، قال تعالى ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)) (٨).

والحق أن القرآن في اللغة مأخوذ من مادة (قرأ)، بمعنى تلا، وهذا ظاهر من استعمال هذا اللفظ ومشتقاته في كلام الله (عز وجل)، وفي كلام رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وفي كلام أهل البيت والصحابة الذين تلقوا القرآن ، ولا حاجة إلى التطويل في تقرير هذه المسألة .

المطلب الثالث: حقيقة الوحي

ذكر الزاغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) الوحي في مفرداته فقال: (أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة) (٩). أما في الاصطلاح فهو: (أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر) (١٠).

لقد عرض السيد محمد حسين الجليلي لتعريفات متعددة للوحي ، وانفرد بتعريف جديد للوحي يقول فيه : (الأولى في تعريف الوحي أن يقال : إنّه مشاهدة ما وراء الطبيعة وهي تحصل للذي تجربت نفسه من الماديات بالإطلاق ، وهذه الحالة الروحية لا تحصل إلا للأنبياء ولا يمكن إخضاعها للمقاييس المادية) (١١) وهو تعريف يختلف عن تعريفات السابقين، وكلمة الفصل بهذه المسألة أن الوحي من أمور الغيب التي يختص بها النبي المرسل ، لذا فإن الاجتهاد في تقريب صورة الوحي إلى

الأذهان بأمر من الأمور المحسوسة غير دقيق، وليس له مدرك نقلي ولا عقلي، ولا يمكن تقريب صورة الوحي هذه ، كما اجتهد في تقريبها بعض المعاصرين بنحو ساذج .

كما أن ما يحكيه بعضهم عن كيفية إتيان الملك للرسول الأعظم (صلوات الله عليه) من أن الرسول الأعظم ينخلع عن صورة البشرية إلى صورة الملكية، فذلك مما لا دليل عليه، لذا نجد السيد الجليلي يصف الروايات التي تصف حالة الوحي : (إنما هي وصف لما شاهده الصحابة، فهي تعبر عن انطباعاتهم الخاصة وليست تعبر عن حقيقة الوحي التي لم يجربها إلا من أوحى إليه وهي للنبي خاصة دون غيره)(١٢). وهي التفاتة محكمة لا يلتفت إليها إلا الحذاق من أهل العلم، فصورة الوحي تختلف بحسب انطباع الناقل لحدث الوحي، لذلك اختلفت صورة الوحي في الروايات.

ومن المسائل التي تطرق إليه في مسألة الوحي الروايات الموضوعة، لاسيما رواية (ورقة بن نوفل)الزاهب المسيحي التي فحواها يدور حول تظمين ورقة بن نوفل للرسول الأعظم (صلوات الله عليه) فإن تلك الرواية في منظور السيد محمد الجليلي (أقرب إلى التشكيك في النبوة وتتافي حقيقة الوحي وتستلزم أن يكون ورقة هو النبي وأن نبينا (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) استسلم إلى نبوته ولا أظن مسلماً يقول بذلك. وحاشا للنبي(صلوات الله عليه) أن تثبت نبوته بنبوة شيخ أعمى. وأظن والله أعلم، أن يكون هذا الخبر من الإسرائيليات)(١٣) وما ذكره السيد الجليلي لا يخلو من قوة ، واختلاف سرد القصة ، بما لا يلتئم مع بعضها البعض ، والدليل على وضع الرواية واختلافها، إضافة إلى أن رواية ورقة بن نوفل مخدوشة السند ؛ لوقوع الزهري في سندها ، والزهري كان من أنصار الظلمة ، ومن الذين يركنون لهم، وله باع طويل في الكذب والتدليس لا يخفى على ذي عينين (١٤)، وكان عاملاً لبني أمية (١٥) وفي ذلك يقول المحقق التستري : إنه كان كاتباً لهشام بن عبد الملك ، ومؤدباً لأولاده (١٦)، وكان مبغضاً للإمام علي (عليه السلام)، والشواهد في كتب السير واضحة على انحراف هذا الرجل عن منهج الحق ، ولا يستبعد بغضه للرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ وفاقاً لميله الأموي (١٧). وبذلك تسقط تلك الرواية سنداً ودلالة.

ومن الروايات التي رفضها السيد محمد حسين الجليلي رواية (أن جبرائيل كان يتمثل للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في صورة دحية بن خليفة الكلبي الذي كان معروفاً بأنه أجمل الصحابة في المدينة، وهذا غريب جداً ، فإن شخصية جبرائيل لم تكن خافية على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يكن بحاجة إلى ظهوره بشخصية متقمصة (١٨). وإن صحت هذه الرواية، فيكون التأويل على أنها صورة شبيهة بصورة دحية الكلبي.

ولم يكن السيد الجليلي موفقاً في اعتراضه على أستاذه العلوي (١٣٩١هـ) الذي عدّ الإلهام من أقسام الوحي، إذ يتعقبه السيد محمد الجليلي بالقول : (لا أدري كيف عدّ رضي الله عنه هو وغيره من الأعلام رحمهم الله الإلهام من الوحي ، مع أنّه قد يحصل الإلهام للأولياء الصالحين وهو مرتبة دون الرؤية الصالحة بمراتب فكيف يُعدّ وحياً ؟) (١٩).

أقول / هذه الأقسام السبعة من الوحي التي ذكرها العلوي، وإنْ اختلفت في التسمية وتطبيقها على الآيات الكريمة. ولكن إطلاق لفظ الوحي على بعضها وإدخاله في أقسام الوحي، إنّما هو بلحاظ مسلك الوحي ومتعلّقه؛ أعني به ما يُوحى ، لا بحسب المفهوم ، كما هو واضح في مثل وحي الكذب والتّقدير ، قال تعالى : ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا

لِكُلِّ نَبِيٍّ عِدْوَةً شَيْاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ .)) (٢٠) وقوله تعالى : ((فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)) (٢١) .

المطلب الرابع : نزول القرآن

من الأمور المشكّلة في هذا الباب هو التّعارض في روايات نزول القرآن والتّلازم بين البعثة ونزول القرآن تدريجياً، وإشكالية نزوله دفعة واحدة أو نزوله مفرقاً ، ويمكن تحقيق المناط أنّ القرآن نزل في ليلة القدر من شهر رمضان ، وفي ذلك يقول جابر الله الرّمخريّ (ت ٥٣٨هـ) في تفسير قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) ، قال: (ابتدئ فيه إنزاله) (٢٢) ، وهو مذهب الشّيخ أبي عبد الله النّعمان المعروف بالشّيخ المفيد (٤١٣هـ) في كتابه (الإرشاد) (٢٣) ، وتبناه محمد بن علي بن شهرآشوب (٥٨٧هـ) في كتابه (مناقب آل أبي طالب) قال: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي ابتدأ نزوله ، وقال في كتابه متشابهات القرآن : (والصّحيح أنّ القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم وإنّما يفيد الجنس : فأَي شيء نزل فيه فقد طابق الظّاهر (٢٤).

وللعلامة الجليلي في هذه المسألة مبحث نفيس ذكر فيه إلى أنّ القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة وفقاً لقوله تعالى ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (٢٥)، وحلّ السيد محمد حسين الجليلي الإشكال الوارد في الروايات مُتمسكاً بما ذهب إليه السيد محمد حسين الطّباطبائي (١٤٠٥هـ) في الميزان بقوله : (المراد بإنزال القرآن في ليلة القدر إنزال حقيقة الكتاب المتوحدة إلى قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دفعة واحدة كما أنزل

القرآن المفصل في فواصل وظروف على قلبه صلى الله عليه وآله وسلم تدريجياً (٢٦). وقد استفاد السيد الجليلي في ذكر الروايات ، وحل التعارض فيها ، بأسلوب عقلي معتمداً على البحث الروائي في هذه المسألة .

المطلب الخامس: جمع القرآن

ذكر السيد الجليلي أن روايات جمع القرآن تصرح بأن ذلك حصل في عهد الرسالة، ومن الطبيعي اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصياً بذلك حيث أمر كتاب الوحي بكتابة القرآن الكريم، وقال إن المشهور لدى المؤرخين أن القرآن الكريم لم يجمع في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا القول يستلزم نوعاً من الإهمال والتقصير لا يمكن أن يصدر من الرسول الحكيم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهل يعقل أن يكون موقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أقل حرصاً من غيره ، وقد أشار السيد محمد الجليلي إلى لمحة ذكية ذكر فيها أن الرسول الأعظم (صلوات الله عليه) عبر عن بعض السور بأسماء خاصة منها سورة الحمد التي تقع في أول القرآن وسمّاها (فاتحة الكتاب) ، وهذا التعبير يفيد بأن هذه السورة هي مفتتح القرآن ومقدمته وأوله وذلك في عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحت إشرافه مباشرة (٢٧). والذي يتحرى هذه المسألة بتدبر يجد الكثير من الشواهد الشاخصة، والأدلة القاطعة على أن القرآن الكريم قد جُمع في عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقال الدكتور محمد حسين الصّغير في كتابه (تاريخ القرآن) : (... والتّحقيق العلمي يقتضي : أن يكون القرآن كلّهُ قد كتب ، وُجُمع في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يرى ابن حجر) (٢٨)

وميّز السيد الجليلي بين جمع القرآن وتأليف القرآن، فأشار إلى أن جمع القرآن مصطلح يُراد منه نقل القرآن الصوتي إلى الكتابة، ويُراد بالتأليف ترتيب السور حسب النزول (٢٩).

ووصف السيد الجليلي أن جمع الخليفة الأول لم يكن سوى استنساخ نسخة من القرآن الكريم؛ (٣٠) وذلك فيما يبدو بعد رفضهم لمصحف الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والحال هذه تستدعي التفكير القيام بمهمة جمع القرآن مهما كلف الأمر، وهذه هي الحقيقة المغيبة في قضية جمع القرآن في زمن الخليفة الأول .

المطلب السادس: الأحرف السبعة

هذا الموضوع من الموضوعات الشائكة في موضوعات تاريخ القرآن، واستهل العلامة الجليلي هذه المسألة بالقول: (انفرد مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بوحدة النص القرآني المنزل على قلب الرسول

المُرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) فعن الإمام محمد الباقر (ت ١١٤ هـ) أنه قال: (إنَّ القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجي من قبل الرواة) (٣١). ويعقب السيد محمد الجليلي على مضمون رواية الإمام محمد الباقر (عليه السلام) بالقول: (وهذه الرواية تستلزم سلامة النص القرآني وكتابته في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والاعتبار يساعد على أن تكون الاختلافات من جهة الرواة لاختلاف في قراءة النص أو سماعه أو في قراءة النص المجرد عن التنقيط أو في سماعهم المتلو من النص) (٣٢).

ورواية نزول القرآن على سبعة أحرف وتأويلها على القراءات القرآنية لا تصمد أمام التحقيق العلمي، فالدلائل تشير إلى عدم صحة الحديث الذي أصبح كأنه الدليل والمبرر لاختلاف القراءات وإضفاء صفة الشرعية عليها، والإقدام على التغيير والتبديل في ألفاظ القرآن، وعدم صحة هذا الحديث جاءت في الأخبار المتواترة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : (.. واعلموا: أنَّ العرف من مذهب أصحابنا، والشائع من أخبارهم وروايتهم: أنَّ القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد) (٣٣).

وردَّ السيد الجليلي كلَّ التَّأويلات التي قيلت في تأويل هذا الحديث واستظهر من ذلك أنَّ هذه الأقوال كلُّها نظريات شخصية لأصحابها قيلت لتوجيه الحديث من حيث المعنى، ومن حيث العدد ... وأولدت بحوثاً طويلة لا يخلو شيء منها من إشكال كما يظهر من تتبع كلماتهم (٣٤). وانتهى العلامة الجليلي إلى نتيجة يقول فيها: (والقول بأنَّ جبرائيل كرَّر الكلمة الواحدة سبع مرات تعسف، إذ لا يحصل ذلك في المحاورات العادية فكيف بالقرآن المعجز) (٣٥). وبهذا الدليل العقلي البسيط أبطل دعوى نزول القرآن على أحرف سبعة.

المطلب السابع: اللحن في القرآن

من المُشكِّل الذي حفلت به المصنفات القديمة والحديثة قضية شبهة وجود اللحن في القرآن الكريم، ومن التَّوجيهات السَّديدة للعلامة الجليلي لدفع تلك الشُّبهات التَّأويل النَّاجز، ومن ذلك توجيه قول الخليفة الثَّالث عثمان بن عفَّان القائل: (في القرآن لحنٌ وستقيمه العرب بألسنتها) (٣٦)، وقَدَّم تساؤلاً مشروحاً يقول فيه إنَّ عثمان و(قد تنبه إلى نوع من اللحن فلماذا لم يحدده أو يحاول استصاله ؟ والظاهر أنَّه لم ير لهذا النوع من اللحن ضرراً على سلامة النصِّ القرآني. وهذا الموقف بظاهره لا يستقيم إذ إنَّ ذلك يستلزم إهمال خطورة الاختلاف المزعوم والمفروض أنَّ الجمع العثماني - كما صورته الروايات - إنَّما كان لقطع مادة الخلاف) (٣٧). ثم يخلص إلى نتيجة مفادها: (والذي يوجب

التأمل في كلام عثمان أنه عني باللحن اللّهجات خاصة حيث قال : (ستقيمه العرب بألسنتها) ، ومن هنا نستكشف أنّ هدف عثمان بن عفّان لم يكن إلا كتابة النّص القرآنيّ ليكون نصّاً رسمياً للمسلمين عامّة ، ولم يقصد القراءات ، فكان همّه وحدة النّص لا وحدة القراءة (٣٨) .

وما ذكره السيّد الجليليّ له وجهٌ من الصّواب ؛ فالعرب تستقبّح اللّحن أشدّ الاستقباح ؛ فكيف لا يستقبّحون بقاء اللّحن في القرآن الكريم ، زدّ على ذلك أعلام الصحابة كيف يرتضون بقاء هذا اللّحن في كتاب الله المجيد ، لذا لا يصحّ توجيه هذا الحديث بوجود اللّحن اللّغويّ ، وما تبناه العلامة الجليليّ من رأي هو أقرب إلى الحقيقة .

المطلب الثّامن: الرّسم القرآنيّ

من كبرى الإشكاليات التي وقعت في تاريخ القرآن هل الرّسم القرآنيّ توقيفيّ أم اصطلاحيّ؟ ومخالفة الرّسم القرآنيّ لأساليب الكتابة الصّحيحة ، وكانت للسيّد محمّد الجليليّ وقفات جادّة تكشف عن تبصّر في تلك المعارف القرآنيّة ، إذ استدلّ السيّد الجليليّ (على أنّ الرّسم ليس توقيفاً ما حصل بين الصّحابة في رسم القرآن في عهد عثمان في كتابة (التّأبوت) و(التّأبوه) فلو كان توقيفاً لما حصل هذا الاختلاف) (٣٩) . واستند السيّد محمّد الجليليّ إلى قول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) الذي يقول فيه: (وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصّحابة بخطوطهم وكانت غير مُستحكمة في الإجابة فخالف الكثير من رسوماتهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التّابعون من السّلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) (٤٠) . ويبدو أنّ الذين انتدبهم عثمان لكتابة المصحف كانوا في غاية رداءة الخطّ وجهلاء بأساليب الكتابة ، ومن ذلك الخبر الذي ذكره ابن أبي داود (ت ٣١٦هـ) بقوله : (رفعوا إلى عثمان مصحفاً فنظر فيه فقال : قد أحسنتم وأجملتم ، أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها ، ثمّ قال : أما لو كان المُملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه مثل هذا) (٤١) .

المطلب التاسع: تحريف القرآن

القرآن المصدر الأساس للتّشريع الإسلاميّ ، وهو القول الفصل في المسائل الخلافيّة والجدليّة ، وهو محفوظٌ من التّحريف ، وقد ميّز السيّد محمّد الجليليّ بين ضربين من التّحريف: الأوّل : (التّحريف المعنويّ ويعني به أنّ الآيات القرآنيّة الصريحة استخدمها المغرضون لتغيير معانيها المنزلة على الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بأنّ فسّروها حسب مصالحهم الشّخصيّة كما غيرت اليهود كُتُبهم المقدّسة) (٤٢) .

وقد استدلَّ العلامة الجلالِيَّ على وقوع هذا الصَّنْف بقول الإمام الباقر (عليه السَّلام) في رسالته لسعد الخير : (وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده فهم يروونه ولا يرونه) (٤٣). ويعلِّق السيّد محمَّد الجلالِيَّ على مؤدَى هذا الحديث فيقول: (فإنَّ التَّأمُل في هذه الرِّواية يفيد أنَّ إقامة الحروف تعني عدم التَّحريف اللَّفظي بل التَّحريف المعنوي حيث أنَّ كلام الباقر (عليه السَّلام) صريح بأنَّ ولاية الجور حافظوا على النَّص بإقامة الحروف ولكنهم حرفوا المعنى) (٤٤). وهذا القسم من التَّحريف محل إجماع بين العلماء، ووقوعه لا خلاف فيه، فالذي يفسر القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه فقد حرفه (٤٥).

أما الثَّاني فهو التَّحريف اللَّفظي ويرادُّ منه (تغيير اللَّفظ في النَّص القرآنيَّ بزيادة أو نقصان أو معاً سواء كان حرفاً أو كلمة أو أكثر) (٤٦).

وقد نقل السيّد الجلالِيَّ آراء الشَّيعة بعدم تحريف القرآن، وإتهامهم من الخصوم بالقول بتحريف القرآن الكريم، وقد وصف الرِّوايات التي فيها أمارات التَّحريف إلى أنَّها ضعيفة ومردودة، وهي أخبار آحاد لا تصمد أمام البحث العلميِّ، وقد أَلَف السيّد الجلالِيَّ رسالة في (نفي التَّحريف) (٤٧).

وقد وقف السيّد محمَّد الجلالِيَّ على موارد بعض الرِّوايات، ولاسيما رواية (الغرائيق العلى) تلك الرِّواية التي عدَّها السيّد محمَّد الجلالِيَّ من أولى المحاولات في تحريف القرآن، ونظر المفسرون إلى هذا الصَّنيع على أنَّه نظرة الدَّعاية المُضادة من أعداء الإسلام للنيل من كرامة القرآن (٤٨). وتعبَّ السيّد محمَّد الجلالِيَّ بالنَّدِّ الموضوعيِّ الآيات المدعاة، والرِّوايات الباطلة في تحريف القرآن. وقد دافع السيّد محمَّد الجلالِيَّ عن شبهة تحريف القرآن الكريم بالأدلة الروائيَّة المستحكمة.

وإنَّ التَّبَع الدَّقِيق في كلمات علماء الطَّائفة الذين كانوا القدوة والأسوة في جميع الأحوال، وعليهم المعوَّل في إبداء الرأي، يُعرب عن أنَّهم كانوا يتبرَّأون من القول بالتَّحريف، وينسبون فكرة التَّحريف إلى روايات الآحاد.

المطلب العاشر: مصحف الإمام علي بن أبي طالب (عليه السَّلام)

بحث السيّد محمَّد الجلالِيَّ عن حقيقة المصحف المنسوب للإمام علي بن أبي طالب (عليه السَّلام) وهو يختلف عن مصاحف الصحابة ، إذ إنَّ مصحف الإمام علي (عليه السَّلام) مرتب كما أنزله الله (عزَّ وجلَّ) على صدر النَّبي الأعظم (صلوات الله عليه) ، وقد قدَّمت فيه السُّور المكية على السُّور المدنية ، وقدَّمت فيه الآيات المكيَّة على الآيات المدنيَّة ، وقدَّمت فيه المنسوخ على النَّاسخ ، وفاقاً للترتيب الزمنيِّ ، ناهيك عن خلو مصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السَّلام) من

التّصحيح والتّحريف ، ولا توجد فيه أخطاء إنشائيّة أو نحويّة، كما هو في مصحف الخليفة الثّالث عثمان بن عفان ، وقد جزّاه أمير المؤمنين على سبعة أجزاء (٤٩).

الخاتمة

- يطيبُ لي في نهاية هذا البحث إجمال النّتائج التي توصّل إليها البحث على النّحو الآتي:
- وضع السيّد الجلاليّ ضابطاً لطيفاً في تمييز موضوعات علوم القرآن، ويتجلّى ذلك بتعريفه الجامع المانع، الذي بنى عليها فصول كتابه (دراسة حول القرآن الكريم).
 - كشف البحث أن أبا عبيدة القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤هـ) في كتابه (فضائل القرآن ومعالمه) هو أوّل من ألّف في علوم القرآن وليس ابن الجوزي كما ذكر العلامة الجلاليّ .
 - وقف العلامة الجلاليّ وقفات علميّة متميزة في مسائل الوحي، وناقش بشكل مستفيض الرّوايات الواردة في هذا الباب بمنتهى التّحقيق العلميّ الرصين.
 - كان للعلامة الجلاليّ مبحثٌ نفيس في قضية نزول القرآن تكشف عن عمق فكره وسعة اطلاعه.
 - ناقش السيّد مُحمّد حسين الجلاليّ قضية جمع القرآن وبيّن أهمّ مرتكزاتها.
 - تمسّك السيّد مُحمّد الجلاليّ في إنكار حديث الأحرف السّبعة بما ورد عن أهل البيت (عليهم السّلام) الذين نصّوا على تكذيبه.
 - استجلى حديث اللّحن الوارد عن عثمان بن عفّان واستظهر المعنى الحقيقيّ له.
 - كان للرّسم القرآنيّ مساحة مهمة في تفكير العلامة الجلاليّ.
 - دفع العلامة الجلاليّ الإشكاليات الواردة في مسألة تحريف القرآن.

الهوامش

- (١) ينظر في ترجمته: معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، سلمان هادي آل طعمة، ط١، دار المحجّة البيضاء، بيروت - لبنان ، ١٩٩٩ ، ٢٠٠ ، والدّريّة إلى تصانيف الشيعة - آغا بزرك الطهرانيّ ، دار إحياء التّراث العربيّ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٤ م ، ١ / ٢١٧، وذكرى آية الله الجلاليّ ، مطبعة النّعمان - النّجف الأشرف - العراق ، ١٣٩٧ هـ ، ٦٦ ، وأعلام من كربلاء ، الشيخ أحمد الحائريّ الأسديّ ، ط١ ، مؤسسة البلاغ ، دار سلوني ، بيروت - لبنان ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م ، ٢٤٤ .

- (٢) دراسة حول القرآن الكريم: السيد محمد حسين الحسيني الجلاي، تحقيق: علي النجدي الأحسائي، ط ١، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ١١.
- (٣) ينظر: دراسة حول القرآن الكريم، السيد محمد حسين الجلاي: ١١.
- (٤) النقط والمصاحف، لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) تحقيق: محمد الصادق قحماوي، ط ١، مطبعة دار الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، ١٩٧٨ م.
- (٥) المحكم في نقط المصحف: لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. عزّة حسن، ط ٢، دار الفكر - دمشق - سوريا، ١٤٠٧ هـ، ٥-٦.
- (٦) ينظر: دراسة حول القرآن الكريم، ١٢.
- (٧) ينظر: دراسة حول القرآن الكريم، ١٣.
- (٨) سورة القيامة: ١٧.
- (٩) المفردات في غريب القرآن، الزاغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: محمد خليل عيتاني، ط ١، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤١٨ هـ، ٨٥٨.
- (١٠) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٢ هـ: ١/ ٥٦.
- (١١) دراسة حول القرآن الكريم: ٢٠.
- (١٢) ينظر: دراسة حول القرآن الكريم: ٢٠.
- (١٣) دراسة حول القرآن الكريم: ٢٤-٢٥.
- (١٤) ينظر: سفينة البحار، عباس القمي (١٣٥٩ هـ)، ط ١، دار انتشارات، قم - إيران، ١٤١٨ هـ، ١/ ٥٧١-٥٧٣.
- (١٥) ينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة، علاء الدين الإريلي، مطبعة النعمان، النجف - العراق، ١٩٦٦ م.
- (١٦) قاموس الرجال، المحقق التستري، دار الهجرة، قم - إيران، ١٤١١ هـ.
- (١٧) ينظر: سفينة البحار: ١/ ٥٧٢.
- (١٨) دراسة حول القرآن الكريم: ٢٥.
- (١٩) دراسة حول القرآن الكريم: ٢٨.
- (٢٠) سورة الأنعام: ١١٢.
- (٢١) سورة فصلت: ٩.
- (٢٢) الكشف: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧ م: ١/ ٢٢٧.

- (٢٣) ينظر: شرح اعتقادات الصدوق، الشيخ أبي عبد الله محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، دار الهجرة ، قم - إيران ، ١٤٢٢ هـ : ٥٨ .
- (٢٤) مناقب آل أبي طالب، للميرزا محمد بن علي ابن شهرآشوب (ت ٥٨٧ هـ) ط١ ، مؤسسة الحكمة ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٨ م : ١ / ٥٦ .
- ومتشابهات القرآن ، محمد بن علي بن شهرآشوب، دار المحجة البيضاء ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٠ م . ٣ / ٣٤٥ .
- (٢٥) سورة الفرقان: ٣٢ .
- (٢٦) الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٤ هـ) ، ط١ ، دار الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٩ م ، ٢ / ١٥ . وينظر دراسة حول القرآن الكريم: ٣٤ .
- (٢٧) دراسة حول القرآن الكريم: ٧٦ .
- (٢٨) تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغبر، دار الهجرة، ط١، قم - إيران، ١٤١٨ هـ : ٨٥ ، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٩ م : ٩ / ١٠ .
- (٢٩) دراسة حول القرآن الكريم: ٧٥ .
- (٣٠) دراسة حول القرآن الكريم: ٨١ .
- (٣١) دراسة حول القرآن الكريم: ٨٥-٨٦ .
- (٣٢) دراسة حول القرآن الكريم: ٨٦ .
- (٣٣) النّبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، تحقيق: الشيخ أحمد حبيب القصير ، مطبعة النعمان ، النّجف الأشرف - العراق ، ١٩٥٥ م ، ١ / ٧ .
- (٣٤) دراسة حول القرآن الكريم: ٩٠ .
- (٣٥) دراسة حول القرآن الكريم: ٩٤ .
- (٣٦) المصاحف، ابن أبي داود (ت ٣١٦ هـ)، تحقيق الشيخ الهلالي، ط١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ١٤٢٧ هـ : ٣١ .
- (٣٧) دراسة حول القرآن الكريم: ١٥٢ .
- (٣٨) دراسة حول القرآن الكريم: ١٥٢ .
- (٣٩) دراسة حول القرآن الكريم: ١٩٣ .
- (٤٠) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، ط١، مؤسسة دار المعرفة - بيروت - لبنان، ١٩٩٩ م: ٤١٩ ، ودراسة حول القرآن الكريم: ١٩٣ .
- (٤١) المصاحف، ابن أبي داود: ٣٢-٣٣ .

- (٤٢) دراسة حول القرآن الكريم: ٢٠٩.
- (٤٣) دراسة حول القرآن الكريم: ٢٠٩.
- (٤٤) دراسة حول القرآن الكريم: ٢٠٩.
- (٤٥) ينظر: البيان في تفسير القرآن لأبي القاسم الخوئي (ت ١٩٩٢م)، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان، ١٤٣٣هـ.
- ، ٢١٥. دراسة حول القرآن الكريم، ٢١٠.
- (٤٦) دراسة حول القرآن الكريم: ٢١٠.
- (٤٧) دراسة حول القرآن الكريم: ٢١١.
- (٤٨) دراسة حول القرآن الكريم: ٢١٣.
- (٤٩) دراسات حول القرآن الكريم: ١٠١.

المصادر والمراجع

- ١- أعلام من كربلاء، الشيخ أحمد الحائري الأسدي، ط ١، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، بيروت - لبنان، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٢- البيان في تفسير القرآن لأبي القاسم الخوئي (ت ١٩٩٢م)، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان، ١٤٣٣هـ.
- ٣- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق الشيخ أحمد حبيب القصير، مطبعة النعمان، النجف الأشرف - العراق، ١٩٥٥م.
- ٤- تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير، دار الهجرة، ط ١، قم - إيران، ١٤١٨هـ.
- ٥- دراسة حول القرآن الكريم: السيد محمد حسين الحسيني الجليلي، تحقيق: علي النجدي الأحسائي، ط ١، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- ٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة - آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.
- ٧- ذكرى آية الله الجليلي، مطبعة النعمان - النجف الأشرف، ١٣٩٧هـ.
- ٨ سفينة البحار، عباس القمي (١٣٥٩هـ)، ط ١، دار انتشارات، قم - إيران، ١٤١٨هـ.
- ٩ شرح اعتقادات الصدوق، الشيخ أبي عبد الله محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، دار الهجرة، قم - إيران، ١٤٢٢هـ.
- ٩ فتح الباري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٩٩٩م.
- ١٠ قاموس الرجال، المحقق التستري، دار الهجرة، قم - إيران، ١٤١١هـ.
- ١١ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علاء الدين الإربلي، مطبعة النعمان، النجف - العراق، ١٩٦٦م.

- ١٢ الكشف: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان . ٢٠٠٧م.
- ١٣ متشابهات القرآن، محمد بن علي بن شهرآشوب، دار المحجة البيضاء، بيروت -لبنان ، ٢٠١٠م .
- ١٤ المُحكم في نقط المصحف: لأبي عمر عثمان بن سعيد الدّانيّ، تحقيق: د. عزّة حسن ، ط٢ ، دار الفكر - دمشق - سوريا ، ١٤٠٧هـ.
- ١٥ المصاحف، ابن أبي داود (ت ٣١٦ م) ،تحقيق الشّيخ الهالليّ ، ط١ ، مؤسسة غراس للنشر والتّوزيع ، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م .
- ١٦ معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، سلمان هادي آل طعمة، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ١٩٩٩.
- ١٧ المفردات في غريب القرآن ، الزّاغب الأصفهانيّ (ت ٥٠٢ هـ) ،تحقيق: محمد خليل عيتاني ط١ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨هـ.
- ١٨ مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ط١، مؤسسة دار المعرفة - بيروت - لبنان، ١٩٩٩م.
- ١٩ الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائيّ (ت ١٤٠٤ هـ) ، ط١ ، دار الأعلميّ ، بيروت- لبنان ، ٢٠٠٩م.
- ٢٠ مناقب آل أبي طالب ، للميرزا محمد بن علي ابن شهرآشوب (ت ٥٨٧ هـ) ط١ ، مؤسسة الحكمة ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٨م.
- ٢١ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقانيّ ، ط١ ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢هـ.